تأمّل في ميلاد الرّب يسوع

مع الأب ابراهيم سعد

٢٠١٤/١٢/٩

موضوعنا اليوم هو عيد الميلاد الّذي يجب أن يكون اسمه: "ميلاد الرّبّ" من دون أن نُلغي كلمة الرّبّ. لأنّ العيد أصبح تذكارًا أوشِعارًا للمسيحيّين. والخطورة في الأعياد المسيحيّة في رأيي، أنّها باتت أعيادًا مسيحيَّة، لا أعيادًا للمسيح، لأنّها أصبحت عبارَة عن طقوس تُلغي، بِدافع التّقوى أو النّيّة الطّيّبة، معنى العيد الحقيقيّ. الميلاد هو أكثر الأعياد بهرجة، تقتل معاني كثيرةً، على عكس عيد الفصح الّذي ليست لديه تلك البهرجة، والسّبب المحتَمَل لذلك هو أنّ الكنيستيْن تحتفلان به في أوقات مختلفة. وتكمن الخطورة إذًا في أنّ العيد أصبح يَتّبع مراسمَ بشريَّة وشعبيَّة تقتل معنى العيد، فصار عبارَة عن موسم، بينما مفهوم العيد اللّاهوتي للرّب ليس موسمًا، وإنّما هو نهاية حياة وبداية أُخرى. فالعيد ليس محطَّة في الحياة، لأنّه، بعد العيد، تبدأ حياةٌ جديدةٌ لكلٍّ منّا، فلا يكون العيد مجرّد جزءٍ من هذه الحياة، بل يكون هو الحياة الّتي تعيشها أيّ نهاية وضعك الحاليّ وبداية الآخر، لأنّه ليس من الممكن أن يكون العيد مجرّدَ جزءٍ من الحياة، فأي عيد للرّبّ لا يستطيع أن يتّخذ مجرّد طابع ذكرى أو تقويم، فخطورة الرّوزنامة تكمن في أنّ الإنسان يعرف، عند النّظر إليها، الوقت الّذي سَيَحُلّ فيه العيد، وبالتّالي سيفقد العيد طابع المفاجأة. وهذا ما يجعلني أطرح أسئلة ويضعني في موقف تحدٍّ، فالعيد لا يمكن أن يكون إلّا دعوةً إلى أخذ موقف.

في قصّة ولادة الرّبّ، الكلّ اتّخذ موقفًا، حتّى الطّبيعة كان لها دور. وإذا أردنا أن نُفَصّل أكثر، قُلنا إنّ اليهود اتّخذوا موقفًا، والغرباء من المجوس كذلك، والّذين كانوا حول يسوع أيضًا. وإذا أردتُ التّطرّف أكثر في الكلام أقول: الطبيعة اتّخذت موقفاً فالسماء أعلنته بالنّجم، والأرض أعلنت موقفها بالمكان الّذي وُلِدَ فيه يسوع. وأيقونة أو صورة الميلاد تُظهِر أنّ الحيوانات والملائكة اتخذت موقفًا، حتّى ولو لم يُذكر ذلك في الإنجيل. يبقى لنا أن نعرف موقف السّامع. وهو بذاته عليه أن يعرف موقفه. لذلك يجب أن يكون لِكلّ عيدٍ نفحةٌ انقضائيّةٌ، نهائيّةٌ تحمل طابع الموت، على الأقلّ موتكَ أو موت حياتكَ قبل العيد أو موت ما كنتَ عليه قبل العيد. فصاحب الإرادة الضعيفة، لا يُمكن أن يُواصل حياته على الشّكل نفسه بعد أن يَحُلّ العيد، ومن يكون على خصومةٍ مع الآخر لا يُمكن أن تستمرّ خصومته معه حتّى بعد حلول العيد وانتهائه، فهكذا يُصبح العيد عبارةً عن رُوزنامةٍ تقوم بتمزيق أوراقها، لكنّ العيد هو الّذي يُتلِف تقويمنا وليس العكس. وكما قَلَبَتْ ولادة الرّبّ وضع أورشليم واليهود رأسًا على عقب وسبّبت اضطرابًا لهيرودس وللكهنة وللكُتّاب، وقامت بتغيير حياة الّذين لا إله لهم إلّا وهم المجوس أو الغرباء، يَقلُب ميلاد الرّب حياتنا، لذلك نتأمّل في الموضوع قبل استقبال المولود، حيث لا منطق في هذه المسألة إذ يسأل المجوس: "أين هو المولود، مَلِك اليهود؟" فلا يُعقَل أن يكون المولودُ مَلِكاً. يُمكن للمولود أن يكون أميراً، فلكي يكون ملكاً يجب أن يفرض ملكيّته من خلال انتصاره في حربٍ ما أو عن طريق إحقاق العدالة والحقّ في مملكته. ولكن هذا المولود ضعيفٌ فكيف له أن يكون ملكاً؟ والّذين لا ينتظرونه، هم فقط اللّذين اعترفوا بوجوده، أمّا الّذين ينتظرونه فلم يحتملوا أن يكون المولود ملكًا، فعلى هذا الأخير أن يملك هيْبةً وسلطاناً، ولذلك لم يتنازل هيرودس عن عرشه؛ في الشّرق الأوسط. ففكرة المَلَكيّة ليست بالقضيّة السّهلة، إذ لا يرضى أيّ ملك أن يُطْلَقَ على غيره لقب ملك، حتّى على ابنه. فهو الملك، وإذا توفي يأتي ملك بعده، ولكنّه يبقى ملكًا إلى

حين وفاته، حتى ولو كان يُصارع المرض. في البلاد ذات الحكم الملكيّ الحقيقيّ لا وجود للدّستور، فالدّستور هو الكلام الذي يخرج من فم الملك. وفكرة الملك هي أن يتكلّم في صباح كلّ يوم، وعلى أساس هذا الكلام يتابع الشّعب حياته. فيعيش النّاس إذاً بفضل كلمة الملك، وليس بفضل الطّعام والشّراب، لأنّك إذا عملتَ بعكس ما يقوله الملك صِرْتَ ضدّ الملك وفي حالة تمرّد. فأنت تعيش بأمانٍ في ظلّ المملكة، وبخضوعك لكلمة الملك هو ما يحميك عندما تكون ضمن دياره. ليست المسألة سهلةً بأن يأتي شخص ما، ويسأل عن المولود الملك كما فعل المجوس، أي الغرباء. إذاً لا شيء يضمن لك أن تبقى مُحتَكِراً مَلِكَك وربَّك. وهذه هي قصّة الميلاد، فلقد كان هناك أشخاصٌ مُتأكّدين من بقائهم في الدّاخل، ولكن عندما تحدّاهم الملك، ورفضوه، أصبحوا في الخارج، ومَن قَبِلَه بقي في الدّاخل. إذاً، في لحظة مواجهة المولود الملك، تقوم أنت بفرز ولادتك أو موتك، فالّذين رفضوه ماتوا بالنّسبة إليه، والّذين قبلوه وُلِدوا في اللّحظة الّتي قبلوه فيها. لذلك عيد الميلاد هو عيد ميلادي أنا، إذا قبلتُ المولود ملكًا عليّ. وقد طرح الإنجيل قصّة الميلاد مع متّى ولوقا. ويعتقد البعض أنّ الصّفحة الأولى من إنجيل متّى مملّة، ولكن، على العكس، لقد طرحها بطريقةٍ رائعةٍ للغاية، وهي من أعظم ما كُتِبَ في الإنجيل. يقول متّى: "هذا نسب يسوع المسيح ابن داوود ابن ابراهيم" لقد استعمل اسمين، داوود هو موجود كمَلك، حصل على الملكيّة، كان راعياً وأصبح لديه مملكة، وبعد النّاموس الموسويّ أي بعد أن أعطى موسى الوصايا ووجد الشعب اليهوديّ، أصبح داوود موجوداً. فهذا الشّخص الّذي كان راعياً، من دون سلطة، ومن دون قوّة، صار مَلِكاً رُغماً عن إرادة الله لأنّ الله لا يُريد مَلِكاً لشعبه، فهو الملك. ولكنه قَبِل بهذا ليُرينا أنّ قرارنا خاطئ. إبراهيم كان غنيّاً ترك كلّ شيء وأصبح شاردًا في الصّحراء، وهو موجود قبل موسى أي خارج النّاموس، أي أنّه ليس يهوديًا. إذًا هناك شخصان: أحدهما يهودي، ويعتبر الله مُلْكَه، وصنع له هيكلًا، والثّاني أصبح من البدو في الصّحراء. فمن هو المناسب لك من بينهما؟ لذلك طُلب منك أخذُ موقف: أتفضّل الّذي يملك الله، أو الّذي يملكه الله؟

يقول ابن إبراهيم: إبراهيم وَلدَ إسحاق، إسحاق وَلدَ يعقوب، يعقوب وَلدَ ... خلال هذه السّلالة–النسب، يذكر الله أربع نساء، وفي السّلالة عادةً لا يأتون على ذكر النّساء، بل الرّجال فقط. وفي القُرى، إذا أردتَ إهانة أحدهم تقوم بِتسمية والدته ونسبه إليها. وعندما ذكر متّى في السّلالة أسماء نساء، ذكر نساء غير يهوديّات، ونساء زانيات، وجعلها في سلالة يسوع، إذاً هو يُعطي ليسوع نسب أشخاص سيّئين، وليسوا يهودًا. المرأة الأولى الّتي يذكرها، يقول: "ويهوّذا وَلدَ فارَس وزارح مِن ثمار". وزارح وفارَس هما توأمان في العهد القديم، ووالدتهما كانت ذات صيت سيّئ، وتابع قائلاً: وفارَس ولد حصرون ...، فقام بإلغاء اسم زارح. ويكون المولود الأوّل عادَةً هو البكر، ولكن فارَس وزارح توأمان فاعتبر أنّ مَن يرى النّور أوّلاً، يكون البكر. وفي القصّة، خرج زارح أوّلاً فأعطوه علامَة، ولكنّه عاد ودخل بطنَ أمّه فخرج فارَس، وهذا يعني أنّ اليهود الّذين يعتقدون أنّهم البِكر لله إذا تراجَعوا فغيرهم سيُتابع الطّريق. ولكنّ اليهود لم يقبلوا يسوع، فكلّ مَن يقبل يسوع يصبح هو البِكر والوريث. وبالتّالي الوثنيون الّذين قبلوا يسوع المسيح أصبحوا هم أبناء ابراهيم وأبناء الوعد، أمّا اليهود الّذين لم يقبلوا يسوع أصبحوا كالوثنيّين، فلا وجود إذًا للامتيازات عند الله. ويذكر متّى أسماء أخرى مثل "رَحاب" وهي امرأة غير يهوديّة ، ذات صيت سيّئ، ولكن لأنّها ساعدت اثنيْن في حربٍ، كان لها النّصيب. ففي اللّحظة الّتي تُقَرّر فيها فعل ما يُرضي الله، يَمسح الله كلّ ماضيك، ويعقد معك عهدًا جديدًا أي ولادَة جديدَة، ولكن إذا أخذت موقفًا لا يُرضي الله ورفضته، فمهما كان المخزون لديك، فسيتخلّى عنك لأنّه قرارك. إذًا يذكر أربع نساء، وهو الأمر الأوّل غير المعقول، أمّا الثّاني فهو أنّهنّ لسن يهوديات، والثّالث هو أنّهنّ ذوات صيتٍ ونسبٍ سيّئان. ولكن مِنهُنّ يولد المسيح، وهذا يعني أنّك، أنتَ الخاطئ، صار عندك رجاءٌ أن يولد منك المسيح. فكلّ شخص، عندما يتقرّب من الله يكتشف عمق خطيئته ووضاعته، فعندما تقترب من الشّمعة ونورها تكتشف أنّك مُتّسخ. يقول متّى، في هذا الإنجيل، إنّك كلّما اقتربتَ واعتقدتَ أنّك تكتشف نقاط ضعفك وخطاياك، ينسى الله، في الوقت نفسه، ضعفك وخطاياك. إذًا أنتَ في ولادة جديدة فعيد الميلاد هو عيد ميلادك لا عيد ميلاد الرّبّ.

يذكر متّى اثنيْ وأربعين اسماً، وهذا العدد هو نتيجة ضرب الرّقم ٦ بالرّقم ٧، والرّقم ٧ هو رقم الكمال ولكن ستّ مرّات من الرّقم ٧ ليست كمالًا فيجب أن يكون سبع مرّات من الرّقم ٧، والسّبعة الأخيرة تبدأ عندما يقول: "مجموع الأجيال من ابراهيم إلى داوود أربعة عشر جيلاً، ومن داوود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا"، إذًا بعد المسيح هناك سلالة جديدة تامة الكمال ثمّ يقول: "وأمّا مولِد يسوع المسيح فكان هكذا ...". هو إذًا يتكلّم عن عهدٍ جديدٍ، وولادةٍ جديدةٍ. وعندما يطرح قصّة ولادة يسوع يقول: "وكانت أمّه مخطوبَة، وحُبلى من الرّوح القدس، وكان يوسف رجلًا بارًّا، ما أراد أن يكشف أمرها، فعزم على أن يتركها سِرًّا. "لقد كان شخصًا بارًّا ولكنه، في الوقت نفسه، يُطيع النّاموس الّذي يقول إذا كانت زوجتك حُبلى من غيرك فهذا يعني الزّنى، والحلّ هو الرّجم حتّى الموت. ولكنّه كان بارًّا جدًّا فأراد أن يتركها سرًّا، كما أراد أن يُنْهي عمر مريم وحياتها، وفي تلك اللّحظة، ظهر الملاك ليصنع لها حياةً جديدةً مختلفةً. لقد كانت عبدةَ يوسف، وبعد ظهور الملاك أصبح يوسف يتبع مريم، فتغيّرت أمور كثيرة. فالعيد إذًا يقلب الدّنيا رأساً على عقب، ويتابع: "بينما هو يفكّر في هذا الأمر، ظهر له ملاك الرّبّ، في الحلم، قائلاً يا يوسف ابن داوود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأةً لك، فهي حُبلى من الرّوح القدس، وستلد ابنًا وتُسمّيه يسوع لأنّه يُخلّص شعبه من خطاياه". إذًا سيأتي ليمسح الماضي السيّئ لكلّ شخص، لذلك كتب في السّلالة أنّ ماضي يسوع بالجسد سيّئٌ. المسيح، بالنسبة إلى اليهود، ليس ليخلّصهم من خطاياهم، وإنّما من الشّعوب الأخرى، لأنّه عند اليهود كلّ شخص غير يهوديّ، لا اسم له، فاليهودي لا يعترف بهويّتك بل يعتبرك غير موجود لأنّك لا تُشبهه. ويسوع يخلّص شعبه الخاص من خطاياهم، وشعبه هم الّذين أتَوْا وطرحوا خطاياهم أمامه، أي أنّهم اعترفوا به. ويتابع: "حدث هذا كلّه ليتمّ ما قيل في لسان النّبيّ، ستحبل العذراء فتلد ابناً يُدعي عمّانوئيل أيّ الله معنا". إذا قرأتم متّى حتّى الإصحاح الأخير، تذكّرتم قول يسوع للرّسل عندما ظهر بعد القيامة: "فها أنا معكم إلى انقضاء الدّهر"، وهذا ما يعنيه اسم عمانوئيل أي "الله معنا دائمًا". فهو يُؤكّد، في هذا المقطع، أنّ ليسوع شعبًا وهو ملكٌ عليهم، فملكيّته لا تأتي من النّاس، بل من مملكةٍ أخرى، وحتّى اسمه هو من مملكة أخرى. ويتابع: "فلمّا قام يوسف من النوم، عمل ما أمره به ملاك الرّبّ، فجاء بامرأته إلى بيته، ولكنّه ما عرفها، حتى ولدت ابنها فسمّاه يسوع". بعد هذا المقطع لن يستعمل متّى مُجَدّدًا كلمة "امرأته". "ولما وُلِد يسوع في بيت لحم عهد الملك، جاء أورشليم..."، ولما اصطحب يوسف مريم إلى مصر، يقول: "يسوع الطّفل وأمّه" أي لم تعد مريم تُنسب إلى يوسف كامرأته، بل أصبحت أمّ يسوع، وصار ارتباطها بآخر، "ولكنّه لم يعرفها حتّى ولدت ابنها البكر فسمّاه يسوع، "والولد البكر لا يعني أنّه الولد الأوّل، وسيكون هناك ولد آخر إنما يعني الوريث. "ولم يعرفها"، أي أنّ يوسف لم يتدخّل في هذا الموضوع، لأنّ ولادة يسوع وظهوره، هما عمل إلهيّ فقط، ولا مشيئة لأيّ إنسانٍ فيها. وهذا يشبه ولادة إسحق، بمعنى أنّ إسحق كان بقرارٍ من الله، على الرّغم من أنّ سارة قد ضحكت، لذلك أراد الله تسميته "اسحاق" أي "اضحك" كي تتذكّر سارة دائماً أنّها ضحكت، ولكن الوعد تحقّق. "ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهوديّة، على عهد الملك هيرودس، الملك، كان من غير المعقول أن يُسمّى أحد آخر ملكاً إلّا إذا توفي هذا الملك، أو كان ملكاً على مملكة أخرى. "جاء إلى أورشليم مجوسٌ من المشرق وقالوا أين هو المولود ملك اليهود، رأينا نجمه في المشرق فجئنا لنسجد له"، أي أنّهم أخذوا القرار بالخضوع للملك. فعندما تأتي لتعترف بملك آخر غير الموجود أصلًا، أي غير مَلِكِكَ، ذلك يعني أنّك أنكرت مَلِكَكَ. وهذه هي التّوبة، أي أن تكون خاضعًا لملكٍ أنتَ نصّبته على نفسك وقرّرت أن تنكر كلّ عباداتك وتعترف بملك آخر، لا يهمّ من تكون، فعندما تأخذ هذا الموقف، تكون قد تحوّلت إلى تابع لهذا الملك، وأصبحت مسؤوليّته أن يُخلّصك من خطاياك، لأنّ هذا اسمه، ومعناه هو الحضور، أي وظيفتك في هذه الدنيا، "وسمع الملك هيرودس فاضطرب هو وكلّ أورشليم ، فجمع كل رؤساء الكهنة ومعلّمي الشعب وسألهم أين يولد المسيح؟"، فأجابوا: في بيت لحم اليهوديّة لأنّ هذا ما قد كُتِب: "يا بيت لحم، أرض يهوذا، ما أنتِ الصّغرى في مدن يهوذا، لأنّ منك يخرج رئيس يرعى شعب إسرائيل، فدعا هيرودس المجوس". تأكّد من الّذي يعرفه، ولكنّه لم يصدّق ولم يقتنع، بل أراد معرفة المزيد، لأنّ هناك قرارًا يجب أن يُؤخذ: إمّا يتنازل عن العرش،

ويُنَصّب هذا الملك مكانه، أو يقتل هذا الملك، ويبقى هو على العرش، فلا وجود للحياد أو للتّأي بالنّفس، فالحياد، في الإنجيل، هو موقف سلبيّ وليس إيجابيًّا. "دعا المجوس سرّاً وتحقّق منهم زمان النّجم، ثمّ أرسلهم إلى بيت لحم وقال لهم: "اذهبوا وابحثوا جيّداً عن الطّفل، وإذا وجدتموه أخبروني حتى أذهب أنا أيضاً وأسجد له". المجوس وهيرودس قالوا العبارة نفسها، أنّهم سيسجدون له، ولكن تطبيق هذا الكلام كان مغايرًا. فلما ذهب المجوس خضعوا للطّفل، أمّا هيرودس فقد قام بقتل جميع الأطفال. العيد يذكّرنا بأنّ المسألة ليست بالكلام، "فليس كلّ من يقول يا ربّ، يدخل ملكوت السموات"، بل هناك موقف مُترجم في حياتك. "فلما سمعوا كلام الملك، انصرفوا وبينما هم في الطّريق...". هناك موقف اتخذته السّماء، تَرجَم أنّ مشروع الله سيتابع طريقه ولا يُمكن لهيرودس منعه، فمهما عانده ومهما بلغت سلطته، ومهما كان قويًّا، فيكون هناك تدخّلٍ ما، من مكانٍ ما، حتّى يتابع مشروع الرّبّ سيره، حتّى ولو قتله، سيتابع مشروع الله سيره، وسيُعيد قيامته. "وتحقّق منهم فلمّا سمعوا كلام الملك انصرفوا، وبينما هم في الطّريق إذا النّجم الّذي رأوْه من المشرق يتقدّمهم حتّى بلغ المكان الّذي فيه الطّفل فوقف فوقه، فلمّا رأوْا النّجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًّا ودخلوا البيت، فوجدوا الطّفل مع أمّه مريم فركعوا وسجدوا، ثم فتحوا أكياسهم وقدّموا الهدايا، ذهبًا وبخّورًا ومُرًّا، وأنذرهم الله في الحلم ألّا يرجعوا إلى هيرودس، فأخذوا طريقًا أخرى إلى بلادهم". تدخّل الله، ومشروعه لم يتوقف. أمّا الذّهب فيُقدّم إلى الملك، والبخّور إلى الآلهة، أيّ أنّهم اعترفوا به كملك وربّ، والمرّ يدلّ على أنّ هذا الملك والرّبّ، مصيره معروف أيّ أن هذا المولود ميت، فالمرّ يُستخدم للتّحنيط. لذلك يُلفّ الإنسان بأقمطة عندما يولد وعندما يموت، إذًا هذا المولود ذاهب إلى الموت. في أيقونة الميلاد، بحسب الطّقس الشّرقيّ، يضعون صورةً نظنّ أنّها مغارة، ولكن في القصّة، لا وجود لمغارة بل لبيت. وفي التّقليد الشّعبيّ، جاءت المغارة من الأيقونة لا من الإنجيل، وهي صورة مقبرة، وهي نفسها الّتي يصوّرونها في أيقونة القيامة. فنلاحظ أنّ الصّورة من الدّاخل مُظلمة، ويسوع واقف على باب تلك المغارة أيّ أنّه خارج منها، كما في القبر يُصوّر خارجاً منه، إذاً هذا المولود الميت هو أيضاً ذلك المولود القائم. والعذراء والجميع في الخارج. وفي الدّاخل ثور وحمار غير مذكورين في القصّة، وإنما في العهد القديم. فعندما كان الله يشتكي أنّ شعبه لا يتسمع إليه، قال إنّ الثّور الحمار يستمعان إليّ وشعبي لا يفعل. قصد من رسم الأيقونة أنّ الثّور والحمار أطاعا الله، بينما الشّعب الّذي يُسمّي نفسه شعب الله فلم يطعه. وهيرودس هو ممثّل هذا الرّفض وهذا التّمرّد. في اللّغة الفرنسيّة كلمة (péché) تعني الخطيئة بينما في اللّغة العبرية تعني "بيشاع" أيّ التمرّد والعصيان. وعمليًا كلّ خطيئة هي عصيان. الملك سَنَّ قانوناً لتسير عليه، وأنتَ سرت بعكسه. فهيرودس هو رمز التّمرّد، بينما كان يجب أن يكون رمز الطّاعة، فهو كم كان ينتظر المسيح الآتي. يقول: "وبعد أن انصرف المجوس ظهر ملاك الرّب ليوسف في الحلم قائلاً: قم، خذ الطّفل وأمّه، واهرب إلى مصر، وأقم فيها حتى أقول لك متى تعود، لأنّ هيرودس سيبحث عن الطّفل ليقتله، فقام يوسف، وأخذ الطّفل وأمّه ليلاً، ورحل إلى مصر".

وهناك حديث آخر عن علاقة مريم بابنها الطّفل، فالإنجيل كلّه يربطها بيسوع، وإذا قرأنا إنجيل لوقا، رأينا أنّ هناك حديثاً عن الرّعاة والملائكة وعن مواقف لأشخاص آخرين: فالرّعاة يُذكّروننا بداوود الرّاعي، والرّاعي هو رمز اليهود، ووظيفتهم أن ينتظروا هذا الطّفل ويفرحوا لمجيئه، والملائكة تقول النّشيد: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السّلام وفي أناس المسرّة، وليس في النّاس المسرّة"، المسرّة ليست في النّاس، فالسّلام هو في أناس المسرّة أي في النّاس الّذين قبلوا وسُرَّ الله بطاعتهم، وهم أولاد مسرّة الله، وبحسب قوله في المعموديّة: "هذا هو ابني الحبيب الّذي به سُررت". نلاحظ إذًا أنّ في ميلاد الرّبّ هناك مولودًا!.

وإذا دخلتَ في قصّة الميلاد لأنّك من شعبه، أيّ موقف تأخذ من كلّ هذه المواقف؟ وإذا كان لديك موقف جديد، فكيف تعلنه؟ أَفَهِمْتَ أيّها الإنسان السّامع والقارئ للإنجيل، أنّ ولادتك الجديدة تبدأ اليوم، لأنّك ستدخل حياةً وعهداً جديديْن، أم أنّك ستبقى في قديمك؟ فالمسيح أتى بالعهد الجديد، فإذا بقيت على عهدك القديم وكلّ الناس تجدّدوا، فهذا ليس العهد الجديد. وإذا بقي كلّ الناس على العهد القديم وأنتَ تجدّدتَ، فهذا هو التّجديد. فالمسألة هي في ولادة المسيح من جديد، ليس في بيت لحم وليس في المغارة بل فينا نحن. ففي عيد الميلاد، تكون أنت المغارة والمزود والرّعاة والملائكة والعذراء وكلّ شيء، ولكن لا يجب أن تكون هيرودس. أستكون مِنَ الّذين اعترضوا، أو من الذين فرحوا فرحاً عظيماً؟ لا تستطيع أن تنأى بنفسك، إذ عندها لا تكون في قلب القصّة، وبل تصير وكأنك ترى فيلمًا. الفرق أنه إذا حضرت فيلمًا، وتأثرت به، تكون قد تماهيت مع أحد الممثلين، مثلاً في فيلم يسوع الناصري، إذا نقمت على يهوذا، أصبحت واحداً من الرسل، لأنهم نقموا عليه، وعندما ينتهي الفيلم، تعود كما كنت. أمّا في الإنجيل وفي العيد، فعليك أن تبقى في قلب القصة، أن تبقى على موقفك.

زينة العيد والأضواء تمنعنا من الانتباه إلى أنّ هناك قراراً وموقفاً وخطوةً جديدةً يجب أن تُؤخذ، إلى حدّ أنّنا أصبحنا نقول إنّنا لا نشعر بالعيد لأنّ الزينة ليست كثيرة. أما إذا كان شخصٌ ما، تحت سلطة خطيئة ما أو ضغينة ما، وجاء العيد، وأيقظ عقله لكي يتحرّر من هذه الأمور، فهل يستطيع أحد أن يصف الفرح الّذي يخرج من قلبه؟ الفرح الّذي تشعر به إذا تصالحتَ مع الآخر، أو مع نفسك، ليس هناك من زينة تُقدّمه لك. أمّا إذا بقيت على حزنك فلن تفرح لذلك تُلهي نفسك بالزّينة. يجب الانتباه إلى ألّا يُغطّي المرح الفرح على جوهر الحدث، والدليل أنه بعد انتهاء العيد نقول: "انتهى العيد"، ونعود إلى روزمانتنا. فأنت لا تزال تسجن العيد في روزنامتك، وهنا التّحدّي، والموقف، لذلك هذا هو الأمر الإيجابيّ الوحيد في الروزنامة، أن تُعلِمُك بتاريخ العيد، حتّى تستعدّ، فعيد الميلاد هو عيد الموقف، والتّحدي وعيد الموت، موتك القديم، وعيد ولادتك الجديدة، لذلك الميلاد هو عيدك، وليس عيد ميلاد المسيح. آمين.

ملاحظة: دوّنت المحاضرة من قبلنا بتصرّف